فلم يكن في النحلة ما يخالف المألوف ... ولقد نحل محمد صاحبه أبا بكر أرضاً، فلم يلق ذلك التفاتة اعتراض ... ثم نحل أبو بكر هذه الأرض ابنته الأثيرة: عائشة، فظلّت في يدها بضع سنين دون أن يثور حولها تساؤل متسائل، أو نجد امرؤاً طالبه أو طالبها بالبيّنة على ملكيتها بشهادة مكتملة ـ أو منقوصة ـ النصاب ! ويبدو أنّ هذه الواقعة قد حدّت هوناً من تشدّد المتشدّدين في مخالفة حقّ فاطمة في فدك، فجنح أصحاب بعض الروايات إلى التخفيف من المعارضة، ومالوا إلى الملاينة في الحساب! تلطّفوا في التصوير وفي التعبير، فتجنّبوا التطرّف، كأنّما قد آثروا التقريب بين السلب والإيجاب! في إحدى المحاورات التي كثر تبادلها بين فاطمة وأبي بكر، نرى فاطمة تتمسّك بحقّها في ميراث أبيها، فيقول لها الخليفة: إنّ رسول ا قال: «إنّا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة». فتحتجّ عليه بقوله تعالى: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ)[1561] وبقوله سبحانه في شأن زكريا إذ دعا ربّه: (فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ)[1562]. فتجيئنا الرواية بردّ ٍ لأبي بكر هو صيّب من الرقّة واللطف على غير ما ينتظر تصويره بأقلام المعارضين والمخالفين! يقول الشيخ: يا بنت رسول ا، أنت عين الحجّة، ومنطق الرسالة، لا يد لي بجوابك، ولا أوقعك من صوابك، ولكن هذا أبو الحسن بيني وبينك هو الذي أخبرني بما تفقدت، وأنبأني بما أخذت وتركت. والكلام على هذه الهيئة التي وضعها راوي الخبر على لسان أبي بكر، هو أدنى